الحوار الأطلنطي – المتوسطي

الأمن الجماعي و الاحتواء الإيجابي للمشكلات الأمنية جنوب المتوسط

د٠ نجاح عبد الفتاح الريس

مدرس العلوم السياسية

كلية العلوم الاجتماعية ـ جامعة ٦ أكتوبر

مقدمـــة

كان البحر المتوسط ولايزال أحد الاتجاهات الأمنية الرئيسية لمصر ، منه جاءت الإمبراطوريات العظمى للغزو والاحتلال و أيضاً للتعاون ، وكان و لايزال مسرحاً للصراع السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي " والذي يعد و بحق صورة صارخة من سوء إدارة الموارد المتاحة بين الشمال و الجنوب " ٠

من البحر المتوسط بدأت أولى علامات الحرب الباردة بين القومين الأعظم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية الولايات المتحدة و الاتحاد السوفيتي حينما أعلن الرئيس الأمريكي ترومان Truman في ١٢ مارس ١٩٤٧ عن خطته لمساعدة الحكومة الشرعية في اليونان لمواجهة التوغل السوفيتي و إفشال خطة الجنرال Markos و هو ما عرف بسياسة الاحتواء السلبي " أي قطع الطريق على المنافس في كسب نفوذ جديد " للمد الشيوعي السوفيتي في جميع المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للغرب عامة و الولايات المتحدة بصفة خاصة ، إذ أصبح الحلف أداة الردع القوية للحفاظ على أمن أعضائه في مواجهة الاتحاد السوفيتي ٠

و في البحر المتوسط أيضاً كانت نهاية الحرب الباردة بعد اجتماع الزعيمين G.Bush (الأب) و ميخائيل جورباتشوف M.Gorbatchev يومي ٢- ٣ ديسمبر ١٩٨٩ في جزيرة مالطا Malte ، و هو الاجتماع الأخير بينهما بهذه الصفة و الذي أرسى حقائق جديدة في العلاقات الدولية أهمها :

١- نهاية الحرب الباردة و المواجهة بين الشرق و الغرب ٠

٢- أن حرباً عالمية ثالثة في ظل توازن القوى لم تحدث ٠

٣- نهاية المنافسة الإقليمية في البحر المتوسط ٠

و في الحقيقة فإن معاهدة تأسيس حلف شمال الأطلنطي و المسماة بمعاهدة واشنطن الموقعة في ٤ أبريل ١٩٤٩ و في المادة (٦) منها اعتبرت الجزائر أرضاً فرنسية و بذلك أصبح البحر المتوسط داخل نطاق عمليات الحلف و أصبحت الصحراء الكبرى الإفريقية هي الحدود الجنوبية للحلف ٠ و في يناير ١٩٦٣ ألغيت هذه المادة بعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ ، و أصبح البحر المتوسط هو الحد الجنوبي لإطار عمليات الحلف ٠

و لكن يجب ملاحظة أنه في هذه الفترة انضمت كل من تركيا و اليونان و هي دول متوسطية إلى الحلف في أول توسعة للحلف عام ١٩٥٢[1] ٠

و كان البحر المتوسط يمثل أيام الحرب الباردة – و لايزال – أهمية بالغة لكونه وسيلة التحكم في المضايق الاستراتيجية كما في مضيق " البوسفور " في تركيا و " جبل طارق " جنوب أسبانيا و " قناة السويس " في مصر ، و أيضاً خلال التفوق البحري و الجوي في حالة مواجهة عسكرية عامة على مسرح أوروبا الوسطى مع الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ٠

و من هذه النظرة ، كان الاهتمام بالجنوب المتوسطي في إطار الاستراتيجية العامة للحلف هي " خارج إطار عملياته العسكرية " Hors Zone ، و كان سقوط حائط برلين و انهيار الاتحاد السوفيتي ذا نتائج كبيرة على مستقبل الحلف .

و بالانهيار المأساوي للاتحاد السوفيتي و من ورائه منظومة الدول الاشتراكية الموالية له و حلف وارسو المنافس لحلف الأطلنطي بدأ الحلف في رسم استراتيجية جديدة لما بعد الحرب الباردة و لضمان استمراره رغم زوال العدو الذي من أجله أنشئ ٠

---

(1) Carlo Masala : L'otan et le Moyen – Orient . Revue de l'otan . Hiver 2005 .

كانت البداية مؤتمر لندن في يونيو ١٩٩٠ ، ثم مؤتمر روما ٧- ٨ نوفمبر ١٩٩١ حين قرر رؤساء دول وحكومات الحلف علانية الاستراتيجية العامة للحلف بعد أن كانت سرية منذ إنشائه ١٩٤٩ ، و دعا الحلف دول أوروبا الشرقية و الوسطى إلى أن يكونوا جزءاً من هذه الاستراتيجية الجديدة القائمة على التعاون الأمني بدلاً من المواجهة كما كانت من قبل ٠

كذلك دعا الحلف كل من روسيا و أوكرانيا إلى المشاركة بفعالية في استراتيجية الحلف الجديدة تحت مسمى الشراكة من أجل السلام في إطار سياسة تجمع الحلف و أعداؤه السابقين للتعاون لضمان الاستقرار في أوروبا الشرقية و الوسطى ٠

و يمكن القول أن حلف الأطلنطي أراد في استراتيجيته الجديدة بعد اختفاء العدو أن يكون عالمياً [٢]

و في هذا الإطار يجب التذكير أن حلف شمال الأطلنطي كما هو حلف عسكري فهو منظمة سياسية ٠ ذلك أن معاهدة واشنطن المؤسسة للحلف أنشأت مجلس الأطلنطي :

"Le Conseil Atlantique" ويتألف من ممثلي الدول الأعضاء على مستوى السفراء ، و كذلك هيئة عسكرية تتألف من رؤساء أركان حرب جيوش الدول الأعضاء ، فهو إذاً منظمة بين حكومات الدول الأعضاء ذات أهداف عسكرية ٠

و يمكن اعتبار أولويات الحلف في استراتيجيته الجديدة هي :

---

(2) Entetien avec M. Nicolas du Santis

مقابلة مع Nicolas du Santis (مسئول الاتصال بدول الحوار المتوسطي) في مقر حلف شمال الأطلنطي – الجمعة ٦ أبريل ٢٠٠١ ٠

شراكة من أجل السلام P.P.P (Partenarriat Pour la Paix) مع روسيا و أوكرانيا " بعد انضمام أغلب دول أوروبا الشرقية و الوسطى للحلف في التوسعة الأخيرة ٢٠٠٤ " لضمان استقرار أوروبا و ذلك لكي يعطي اهتماماً أكبر بمناطق الخطر الناجمة عن المشاكل الأمنية في مناطق أخرى و على رأسها جنوب البحر المتوسط [٣] .

و يأتي اهتمام الحلف بالجنوب المتوسطي في إطار تلك الاستراتيجية الجدية التي تبناها منذ مؤتمر لندن في شهر يونيه ١٩٩٠ و مؤتمر روما في شهر نوفمبر ١٩٩١ .

و لكن التقارب جنوباً كان غير ذلك الذي تم مع دول أوروبا الشرقية و الوسطى (الذي بدأ أولاً في صورة شراكة من أجل السلام تدريجياً إلى أن انضمت هذه اللدول إلى الحلف رسمياً مارس ٢٠٠٤ [٤]) .

كان الاتجاه جنوباً على اعتبار أن الجنوب هو مصدر الخطر الجديد على الأمن الأوروبي و كانت حرب الخليج الثانية هي مرآة تلك النظرة لخطر الجنوب .

و خطر الجنوب La Menace du sud دفع السكرتير العام للحلف السابق السيد Willy Claes إلى اعتباره أهم خطر يهدد أوروبا منذ نهاية الحرب الباردة ، و تراجع بعد ذلك لشدة الانتقادات و صرح بأن التطرف يمثل

---

(3) Nicolas du Santis : Ouveture a la Mediterreenee et au Moyen – Orient elargi (الانفتاح على البحر المتوسط و الشرق الأوسط الموسع)

[٤] ٢٩ من شهر مارس ٢٠٠٤ انضمت ٧ دول من دول أوروبا الشرقية و الوسطى رسمياً للحلف و هذه الدول هي : بلغاريا – أستونيا – لتوانيا – ليتونيا – رومانيا – سلوفاكيا – سلوفينيا

Sept nouveau pays deviennent members de l'Otan . otan hebdo – April 2004

تهديداً لأوروبا شبيه بمثل الذي كانت تمثله الشيوعية أيام الحرب الباردة [٥] ٠

و في الواقع فإنه يمكن القول أن عدم الاستقرار جنوب المتوسط ليست ظاهرة جديدة أو نتيجة لنهاية الحرب الباردة ٠

وعوامل عدم الاستقرار موجودة منذ زمن طويل و معروف أسبابها ، فهي إجمالاً أسباباً غير عسكرية بل هي اقتصادية و اجتماعية و بيئية ، كذلك أسباب تتصل بشرعية نظم الحكم إذ أن حماية تلك الأنظمة هي في كثير من الأحيان عائقاً ذو دلالة على عدم الاستقرار ٠ و بناءاً على هذه المعطيات التى هي قائمة بالفعل كان انعقاد مؤتمر مدريد للسلام ١٩٩١ عاملاً حاسماً في الإسراع بتقديم مشاريع أمنية و اقتصادية و اجتماعية لتحقيق " الاحتواء الإيجابي لخطر الجنوب " ، و هو ما تم بالفعل حين تقدمت أوروبا بمشروعها المعروف بالشراكة الأوروبية المتوسطية ، و المعروف بمشروع برشلونة بداية من عام ١٩٩٥ مع ١٢ دولة جنوب المتوسط لمناقشة المواضع السياسية و الاقتصادية و الثقافية ٠

و أيضاً و في إطار هذا السياق تقدم الحلف بمشروعه المعروف بالحوار مع دول البحر المتوسط ٠

يتناول هذا البحث فصلين وينقسم كل فصل إلى مبحثين

الفصل الأول يتناول بدايات الحوار وأنشطته في المبحث الأول ثم يتعرض لأهم المشكلات التي تواجه الحوار في المبحث الثاني ٠

أما الفصل الثاني يهتم بشرح استراتيجية الحلف لمواجهة المشكلات الأمنية جنوب المتوسط في المبحث الأول ثم نعرض لرؤية الدول المشاركة في الحوار ثم أهم معوقات الحوار ثم أهم المبادرات المطروحة في منطقة جنوب المتوسط في المبحث الثاني .

---

(5) Jean Francais daguzan – (saus la die) : les etats-unis otan-et la mediterraueen . publisud – 2002 Paris – France .

الفصل الأول
المبحث الأول
١) بداية الحوار الأطلنطي – المتوسطي :

الآثار السيئة التي أثارتها تصريحات " خطر الجنوب " دفعت الحلف بطلب من أسبانيا و إيطاليا باقتراح " شراكة من أجل السلام في المتوسط " و هو ما أصبح يعرف حالياً بالحوار الأطلنطي – المتوسطي ٠

في شهر فبراير ١٩٩٥ دُعيت كل من مصر – إسرائيل – المغرب تونس – موريتانيا لإجراء حوار مع الحلف في مقره في مدينة بروكسل ، و في شهر نوفمبر من نفس العام دعيت الأردن لإجراء حوار مماثل ليصبح العدد ٦ دول جنوب المتوسط أواخر عام ١٩٩٥ ٠

و هنا يلاحظ استبعاد بعض الدول الرئيسية جنوب المتوسط و ذلك بسبب أوضاع متعلقة بالعلاقات المتوترة لبعض دول الجنوب مع أعضاء الحلف مثل ليبيا و سوريا ، أو لأوضاع داخلية كما كان الحال في الجزائر حتى عام ٢٠٠٠ ، و ما أن استقرت أوضاع الجزائر الداخلية حتى دعيت في شهر فبراير من عام ٢٠٠٠ لتأخذ مكانها بين دول الحوار ليرتفع عدد دول الحوار إلى ٧ دول ٠

و الحوار بصفة عامة حوار ثنائي أي بين الدول أعضاء الحلف كافة و دول الحوار ١٩ + ١ قبل توسعة ٢٠٠٤ و الذي أصبح ٢٦ + ١ ، و هو ما يعني أن الحوار ليس متعدد الأطراف ٠ و موضوعات الحوار واحدة بالنسبة لجميع الدول ، و يمكن القول أنها موضوعات مطروحة من جانب واحد و يتم مناقشتها مع الدول المعنية ، و يمكن لدول الحوار اقتراح موضوعات معينة لمناقشتها و إن كانت الموضوعات هي بالأساس اهتمامات الحلف جنوب المتوسط و لا تملك دول الحوار أن تغير من الاستراتيجية العامة للحلف ، فهي إذا كغيرها من

مشاريع التعاون المتوسطي ذات اتجاه واحد ، و هنا يكمن سبب ضعف تلك المشاريع .

و لا توجد معايير محددة لاختيار دول الحوار ، فقط قرار بإجماع الدول أعضاء الحلف على اختيار دولة معينة لبدء الحوار معها [٦] .

و يمكن تحديد هدف الحوار في أنه شرح الاستراتيجية الجديدة للحلف بعد الحرب الباردة كذلك التحولات في البناء السياسي و العسكري .

إذاً فهو حوار سياسي وأمني لفهم سياسة الحلف و نشاطاته و كذلك من أجل تفهم أكبر للمصالح الأمنية و تقبلها من دول الحوار وذلك لبناء الثقة المطلوبة للتقدم في مسائل الحوار المختلفة وصولاً للاحتواء الإيجابي (التعاوني) لمشكلات الجنوب [٧] .

و موضوعات الحوار تتعلق بصفة عامة بالأمن – التنبؤ بالأزمات – التعاون الأمني و تبادل المعلومات – موضوعات الحد من التسلح خاصة تلك المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل و الصواريخ الباليستية [٨] .

٢) الأنشطة التي شملها الحوار حتى الآن :

إذا كان الحوار قد تمت الدعوة له في فبراير ١٩٩٥ ، فإن أنشطته لم تبدأ إلا في عام ١٩٩٧ عندما قام الحلف بإنشاء مجموعة تعاون المتوسط Le Group de Cooperation mediterraneenne (G . C . M) لتكون مسئولة عن الاتصال و التنسيق مع دول الحوار الأطلنطي المتوسطي

---

(6) Nicolas du Santis .. حوار أجري في مقر الحلف ببروكسل أبريل ٢٠٠١

(7) Albert Bin : Le dialogue mediderraneenne de l' otan . " Occasional Papers " UEO 13-14 janvier 2000 Publication Euro – Mesco . Paris – France .

(8) Nicolas du Santis مصدر سابق .

و هو ما ساهم إلى درجة كبيرة في تقدم الحوار .

و يجب القول أن أنشطة الحوار حتى الآن معظمها أنشطة نظرية ، أكاديمية باستثناء بعض الأنشطة التي شاركت فيها دول الحوار كمراقبين في إطار مناورات الشراكة من أجل السلام و دول الحلف [٩] .

و نحاول في هذه السطور ذكر أنشطة الحوار التي تمت حتى الآن بين الحلف و دول الحوار مع التذكير بأن هذه الأنشطة تتم على نفقة المشاركين ، و هذا يجعل مشاركة الدول محدودة تبعاً لقدراتهم على تمويل تلك الأنشطة و كذلك على اهتمامهم بتلك الأنشطة :

١- دورات و مؤتمرات في كلية الدفاع التابعة للحلف في روما بداية من ٢٠ أبريل ١٩٩٨ باشتراك خمسة دول من الحوار هي مصر – إسرائيل – الأردن – موريتانيا و تونس ، و مثلت دول الحوار بواسطة كبار ضباط عسكريين و ممثلين مدنيين [١٠].

و من الجدير بالذكر أن كلية الدفاع التابعة للحلف أنشئت في باريس ١٩٥١ ثم انتقلت إلى روما عام ١٩٦٦ [١١] .

٢- دورات و مؤتمرات في مدرسة الحلف في مدينة Obermmergau في ألمانيا ، و التي تعتبر مركزاً للمعلومات للعاملين العسكريين و المدنيين في الحلف ، كذلك العاملين (الموظفين) التابعين لدول الحوار .

و المدرسة تطرح برنامجها على الوافدين من دول الشراكة من أجل السلام و دول الحوار المتوسطي تعبيراً لانفتاح الحلف و سياساته في المرحلة الأخيرة ، و

---

(9) Mohamed Kadry Said : un evaluation du dialogue mediderraneene de l'otan . Revue de l'otan . printemps 2004 .

(10) Otan : Communique de paesse 20 Avril 1998 .

(11) Manuel de l'otan . version elictaonique 25 Juin 2001 .

لكن يجب ملاحظة أنه من الصعب معرفة عدد الطلاب في المدرسة و الأكثر صعوبة هو معرفة جنسياتهم ٠

٣- خطوة هامة بدأها الحلف في حواره المتوسطي منذ عام ١٩٩٨ حينما سمح للباحثين من الدول المتوسطية من الاشتراك في أبحاث مشتركة مع قرنائهم من دول الحلف وهي أبحاث تهتم كثيراً بتعريف المسائل ذات الأهمية الإقليمية المشتركة ، و تحديد أطر التعاون العلمي بشأنها ٠

اليوم أكثر من ١٣٠٠ باحث من دول الحلف و دول الحوار يعملون سنوياً تحت هذا المسمى (مجموعة البحث العلمي)" [12] " Comite Scientifique

٤- بدأ الحلف بإتباع سياسة المنح البحثية الدولية للدول المشاركة في الحوار الأطلنطي المتوسطي ٠

منذ عام ٢٠٠٠ ثلاث منح تمت الموافقة عليها اثنان منها لإسرائيل و واحدة للأردن ٠

و في العام ٢٠٠٢- ٢٠٠٣ اثنان واحدة لمصر و الأخرى للجزائر ٠

٥- تنظيم مؤتمرات لتفعيل دور الحوار الأطلنطي المتوسطي ، من هذه المؤتمرات :-

- مؤتمر في مدينة روما قدمت فيها دراسة هامة بواسطة مؤسسة RAND البحثية الأمريكية لصالح وزارة الدفاع الإيطالية في نوفمبر ١٩٩٧ حول مستقبل الحوار الأطلنطي – المتوسطي ٠

- دراسة ثانية قدمت لنفس المؤسسة RAND تحت عنوان الحوار الأطلنطي المتوسطي لصالح وزارة الدفاع و الخارجية الإيطالية و الأسبانية ، و عقد هذا المؤتمر في مدينة فالنسيا الأسبانية في ٢٤- ٢٦

---

[12] Manuel de l'otan 24 Juin 2001

فبراير ١٩٩٩ .

٦- مؤتمرات أخرى عقدت بهدف بناء الثقة بين الحلف و دول الحوار المتوسطي منها :

- مؤتمر دولي حول دور المؤسسات الجامعية في بناء الثقة . روما ٦- ٧ يوليو ٢٠٠١ [١٣] .

- مؤتمر عقد في مدينة Halki في اليونان تحت عنوان بناء السلام : الأمن و التعاون في البحر المتوسط في الفترة من ٤- ١٠ سبتمبر ٢٠٠١ .

- مؤتمر عقد حول الأمن و البيئة في البحر المتوسط في القرن العشرين عقد في جامعة Kent في إنجلترا ٨- ١٠ سبتمبر ٢٠٠١ [١٤].

- مؤتمر حول الأمن و البيئة في البحر المتوسط تبعه محاضرات لشباب القادة و الجامعيين و وسائل الإعلام لدول الحلف ودول الحوار المتوسطي . محاضرات عقدت في مدينة برلين في الفترة من ١٦- ١٨ سبتمبر ٢٠٠١ [١٥].

- محاضرات دولية تحت عنوان البحث عن برنامج جديد لأمن من أجل مستقبل التعاون في منطقة جنوب المتوسط بحضور ٧٦ ممثل رسمي منهم ٣٣ ممثلين رسميين لدول الحوار المتوسطي [١٦] . في كلية الدفاع للحلف في روما ٢٤- ٢٨ نوفمبر ٢٠٠١ .

- مؤتمر نظم بواسطة المعهد البرتغالي للدراسات الاستراتيجية و

---

(13) Otan Hebdo : 2-8 Juillet 2001 .
(14) Otan Hebdo – Semain du 3-9 September 2001
(15) Otan Hebdo – Semain du 10-16 September 2001 .
(16) Otan Hebdo – Semain du 19-25 November 2001 .

الدولية تحت عنوان أوروبا – الولايات المتحدة و دول الحوار الأطلنطي المتوسطي بعد حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ و تم دعوة خمس دول هي مصر – إسرائيل – الأردن – تونس – المغرب [١٧] .

- محاضرات نظمت في المركز الأسباني للدراسات الدفاعية في مدريد في الفترة من ١٩- ٢١ مارس ٢٠٠٤ ، المشتركين من دول الحلف و الشراكة من أجل السلام و دول الحوار الأطلنطي المتوسطي .

المحاضرات تحت عنوان " الأمن عن طريق العلم " [١٨] ، و أهم الموضوعات التي نوقشت خلال هذه الندوة كانت تتعلق بالمسائل الآتية :

١) دراسة التحديات الأمنية الآتية من جنوب المتوسط .

٢) تحديد مفهوم المصلحة المشتركة بمعنى التحديات التي تواجه الجميع و أن للجميع مصلحة في مواجهتها .

٣) تحديد المسائل المختلف حولها و دراستها منفردة .

٤) تحديد المجالات المحتملة لإمكانية التعاون الجاد و تطوير شبكة للمتخصصين في الإقليم المتوسطي .

٥) طرح اقتراحات من أجل حوار منتظم أكثر فاعلية ، على أن يشترك فيه صانعي القرار من دول الحلف و دول الحوار الأطلنطي المتوسطي .

و في اجتماعات وزراء دفاع الحلف تم الاتفاق على تطوير المشاورات السياسية و التعاون مع دول المتوسط ، و يتوقع أن يسجل عام ٢٠٠٧ نحو " ٦٠٠ " مجال للتعاون بين الأطلنطي و دول الحوار المتوسطي في مجالات التدريبات

---

(17) Otan Hebdo – Semain du 5-11 November 2001 .
(18) Otan Hebdo 29 May 2004 .

العسكرية و التعليم العسكري و خطط إنقاذ مدنية ، و إنشاء مركز خاص للمعلومات و التدريب في منطقة الشرق الأوسط ، و إمكانية إقامة برامج تعاون ثنائية مع دول الحوار المتوسطي [١٩] .

٣) الحوار بعد حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ :

بعد حادث ١١ سبتمبر و تعرض الولايات المتحدة لهجوم على أراضيها أثيرت المادة الخامسة من معاهدة واشنطن المنشئة للحلف و التي تقضي بجماعية الأمن و سبل الدفاع الجماعي . و هو ما دفع دول الحلف إلى الوقوف بجانب الولايات المتحدة بعد هذا الهجوم متمثلاً في الهجوم على أفغانستان و لأول مرة يعمل الحلف خارج نطاق عملياته .

وشكل الحلف القوة البحرية الثابتة في البحر المتوسط بقيادة الولايات المتحدة في عملية " Enduring Freedom " لمهاجمة منظمة القاعدة و الطالبان في أفغانستان ، وفي فبراير ٢٠٠٣ أخذت هذه العملية شكلاً متصاعداً ، و عبرت مضيق جبل طارق و انتشرت بكامل البحر المتوسط لمراقبة جميع السفن العسكرية و التجارية المشتبه فيها ، ثم كانت عملية احتلال العراق و التي رفض الحلف الاشتراك فيها مباشرة إلا بعد انتهائها في شكل دورات تدريبية أكاديمية لإعادة هيكلة الجيش العراقي ، و في أكتوبر ٢٠٠٤ وضع الحلف برنامج عملياتي جديد قائم على التعاون في مجال المعلومات الاستخباراتية ضد السفن المشتبه فيها خاصة بعد تزايد التوتر مع إيران بسبب برنامجها النووي ، و لكن الحلف يؤكد دوماً عدم اختصاصاته بالمسألة الإيرانية و إن كانت بعض دول الحلف تشعر بالقلق إزاء طموحات إيران النووية [٢٠] .

---

[١٩] جريدة الأهرام : ٦٠٠ مجال للتعاون بين الناتو و دول المتوسط العام الحالي . ٢٠٠٧/٢/١٣م .

[٢٠] ياب دي هوب شيفر . سكرتير عام حلف شمال الأطلنطي . الأهرام : ٢٠٠٧/٢/١٣ .

و تغير اسم العملية إلى " Active Endeavour " ، و التي اشترك فيها جميع الدول المطلة على البحر المتوسط بهدف معلن هو محاربة الإرهاب في البحر المتوسط ٠

و انضمت بالفعل دول الحوار المتوسطي في هذه العمليات (و هي في مجملها عمليات استخباراتية) واشتركت في مناورات بحرية للحلف في البحر المتوسط مثل الجزائر – إسرائيل و المغرب ٠

و في قمة إسطنبول يونيو ٢٠٠٤ قرر الحلف توسيع نطاق عملياته و إشراك دول الحوار المتوسطي في عملياته العسكرية ، و فتح آفاق جديدة للتعاون بين الحلف و دول الحوار المتوسطي [٢١] ، كما قرر الحلف أيضاً في هذه القمة (قمة اسطنبول في تركيا) مبادرته الشهيرة بفتح آفاق التعاون مع دول مجلس التعاون الخليجي الست بهدف تأمين إمدادات النفط أولاً و الاحتواء الإيجابي للمشكلات الأمنية الخليجية ثانياً خاصةً بعد تنامي دور إيران النووي ، و إن كان الهدف غير المعلن صراحة هو أن يكون الحلف قريباً من مجريات الأحداث في كل من إيران و الصين القوة العظمى الصاعدة ، و تعد مبادرة الحلف بفتح مجال التعاون رسمياً مع دول مجلس التعاون الخليجي و تطوير آليات الحوار الأطلنطي المتوسطي للسيطرة على مشكلات المنطقة و عدم تصديرها خارج حدودها الإقليمية أهم ما أسفرت عنه حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في تطوير الفكر الاستراتيجي للحلف تجاه منطقة البحر المتوسط و الشرق الأوسط الموسع كما جاء في قمة الحلف في اسطنبول يونيو ٢٠٠٤ ٠

هذا عن الحوار و بداياته و أنشطته حتى اليوم ، و لكن ماذا عن

---

(21) Nicolas du Santis مصدر سابق

المشكلات الأمنية في المتوسط و الشرق الأوسط الكبير و عن رؤية كل من الولايات المتحدة و أوروبا و دول الحوار في وسائل التعاون المشترك و التي اقتضت إلى هذا الحوار ، و كذلك ماذا عن تكاملية الحوار الأطلنطي المتوسطي و الحوار الأطلنطي الخليجي (الذي لم تتضح معلمه بعد) مع المشاريع الأمنية الأخرى المعروضة في منطقة المتوسط خاصة و أنها ذات اتجاه واحد من دول الشمال و لا يملك دول الجنوب سوى القبول أو الرفض .

هل هناك معوقات أمام تقدم أفضل للحوار ، و ما هي التوصيات التي يمكن أن يخرج بها البحث من أجل تعاون و تفاهم متبادل بين الحلف و دول الحوار المعنية .

المبحث الثاني

المشكلات الأمنية جنوب المتوسط :

تعتبر قضية الإرهاب هي أهم قضايا الأمن جنوب المتوسط خاصة بعد حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، و التي دفعت حلف شمال الأطلنطي إلى مساندة الولايات المتحدة في عملياتها العسكرية Enduring Freedom في أفغانستان و بقاء قوات الحلف في هذا البلد بعد انتهاء العمليات العسكرية و القضاء على حركة طالبان في أول سابقة عملياتية للحلف خارج نطاق عملياته المحددة في معاهدة واشنطن [٢٢] . ثم كانت العمليات العسكرية التي قادتها الولايات المتحدة و بريطانيا في العراق و احتلاله رغم أنها لم تكن باسم الحلف و لكنه كان على استعداد في أي لحظة - و لايزال - لتقديم العون اللوجيستيكي لهذه القوات رغم الحديث مؤخراً عن نية انسحابها بنهاية عام ٢٠٠٨ .

و لكن و بصفة عامة فإن المشكلات الأمنية جنوب المتوسط الآن هي نفسها ذات المشكلات أيام الحرب الباردة ، بمعنى وجود مشكلات كثيرة بدلاً من مشكلة واحدة تمثل في مجموعها تهديدات غير عسكرية أي عدم التهديد المباشر للأرض نظراً للفارق الواضح في معطيات القوة و الضعف بين ضفتي المتوسط و بالتالي فإننا نركز هنا على ضرورة التقارب في وجهات النظر الأمنية بين أعضاء الحلف البالغ الآن ٢٦ عضو أولاً ، ثم مع الدول جنوب المتوسط ثانياً .

في الحقيقة هناك خمس إشكالات أمنية تشكل محور كل الحوارات في مجال الأمن المتوسطي :

الإشكالية الأولى :

هي إشكالية أمن الطاقة و ضرورة تأمين مصادرها لما لها من أهمية مباشرة

---

(22) Benedicte Suzan . Defense National May 2005 . Paris – France .

على الأمن الاقتصادي الأوروبي بصفة خاصة و دول الحلف بصفة عامة .

٦٥٪ من الواردات الأوروبية من البترول و الغاز الطبيعي تمر عبر المتوسط ، ٣٠٪ من البترول الإيطالي يأتي من ليبيا ، ٣٢٪ من الغاز الطبيعي يأتي من الجزائر .

عام ١٩٩٩ ٧٤٪ من الغاز الطبيعي الأسباني ، ٥٠٪ من الاستهلاك الإيطالي ، ٢٩٪ من الاستهلاك الفرنسي يأتي من دول المغرب خاصة الجزائر و ليبيا [٢٣].

و في الاتجاه العكسي فإن دول شمال أفريقيا و الشرق الأوسط تعتمد بصفة أساسية على الواردات الأوروبية و الأمريكية بنسبة تصل إلى ٦٠٪ .

و في هذا الصدد و بعد حادث ١١ سبتمبر بدأ الاهتمام الكبير و الواضح لدول الحلف للاهتمام بمنطقة البحر الأسود و آسيا الوسطى و كذلك روسيا من أجل توفير مصادر بديلة للطاقة الآتية عبر المتوسط ، و هو ما تم من خلال انضمام دول أوروبا الشرقية و الوسطى للحلف (٧ دول في شهر مارس ٢٠٠٤)

و أيضاً الاهتمام بالشراكة من أجل السلام مع كل من جمهورية روسيا الاتحادية و أوكرانيا .

الإشكالية الثانية :

تتمثل في المشكلة الاقتصادية و الاجتماعية جنوب المتوسط .

و في الواقع فإنها تعتبر أهم المشكلات جنوب المتوسط و الشرق الأوسط ، منها مشاكل العولمة الاقتصادية والمالية والهجرة والأزمة البيئية وتطور وسائل النشر . كل هذه المشكلات تتواجد مجتمعه في الإقليم المتوسطي و الأوسطي ، مما

---

(23) Sami Makki : Projection de puissances du Etats – unis dans le sud : Caraibes – Mediterranee Grand Moyen – Orient . Le debat strategique americaine 1998-1999 .

يتطلب نظرة تكاملية في التعاون بين ضفتي المتوسط و الشرق الأوسط .

و توجد مشكلات مثل مشكلة " السيادة " في ظل " ضعف دور الدولة " جنوب المتوسط في الوفاء بالتزاماتها تجاه مواطنيها و لجوئها لبرامج البنك الدولي و بالتالي ظهور مبدأ الدولة التابع ، مما أضعف الهوية الوطنية القادرة على مواجهة هذا الضعف المهين لدور الدولة .

تأتي أيضاً مسائل عدم التوازن الاقتصادي والسكاني كعوامل تهديد حقيقي للأمن المتوسطي .

و الأزمة الاقتصادية هي أولاً خطورة الفوارق بين الشمال و الجنوب . تفاقم الفارق بين مستوى الدخل في شمال أوروبا و الفقر في الجنوب . و يكفي أن نقول أنه في عام ١٩٨٣ كان الفارق في مستوى الدخل القومي للفرد بين فرنسا و مصر ١ : ١٥ ، و في عام ١٩٨٩ ١ : ٢٠ [٢٤] ، و في عام ١٩٩٩ تراجع وأصبح ١ : ١٧ [٢٥] .

كذلك يبلغ مستوى المديونية إلى وضع خانق لسياسة الاستثمارات و التنمية في دول الجنوب المتوسطي . حيث تبلغ مديونية دول الجنوب أعضاء الحوار الأطلنطي المتوسطي ما يقرب من ٦٠ مليار دولار ، تحتل مصر المرتبة الأولى في المديونية بـ ٣٠ مليار دولار تأتي الولايات المتحدة و اليابان و روسيا ثم الاتحاد الأوروبي في مقدمة الدول الدائنة [٢٦] .

و لابد من القول أن كل سياسة أمنية يجب أن تأخذ في الاعتبار ظاهرة الفقر جنوب المتوسط ، ذلك أن عدم الأمن اليومي لعشرات الملايين من سكان

---

(24) Bernard Ravenel : Mediterranee: l' impossible mur . le cahiers de conflenas . ed harmattan 1995 .

(25) le Rapport " Egypte en un an " le caire 2000 .

(26) Sami Makki – مرجع سابق

الجنوب سوف يصبح أكثر فأكثر مصدرا لتوترات و نزاعات من شأنها أن تعرقل المشاريع الأمنية المطروحة .

الإشكالية الثالثة :

و هي مشكلة انتشار أسلحة الدمار الشامل في إقليم البحر المتوسط :

تأتي مشكلة انتشار أسلحة الدمار الشامل في منطقة المتوسط في أولوية اهتمام الحلف و ذلك لما لها من أثر سلبي على الأمن شمال المتوسط كما يقر بذلك المتخصصين في الاستراتيجية العسكرية للحلف .

و في الحقيقة فإن أعوام ١٩٨٠ — ٢٠٠٠ شهدت مرحلة تطور نظم الأسلحة التقليدية و غير التقليدية . كذلك يعتبر جنوب المتوسط من المناطق التي تحاول الحصول على أكبر كمية من الأسلحة التقليدية و تحاول لأسباب ذاتية اقتناء أسلحة متطورة بيولوجية و كيميائية و نووية (كما هو حالة إيران التي تسعى حالياً لامتلاك التكنولوجيا النووية).

و لكن في نفس الوقت فإن حظر الانتشار هذا هو خطر جنوب - جنوب ، و التهديد ليس موجه إلى دول الشمال أعضاء الحلف الأطلنطي ، و لا يوجد خطر حقيقي لدول الحلف من هذه الناحية .

ذلك أنه و مع امتلاك دول الجنوب لأنظمة صواريخ باليستية متطورة فإنها تبقى ضعيفة التقدم مقارنة بأنظمة الدفاع و الهجوم لدول الحلف الأكثر تطورا و امتلاكا لتكنولوجيا هذه الأسلحة .

و بصفة عامة فإن الإقليم جنوب المتوسط يمتلك ترسانة أسلحة كبيرة العدد إذا ما قورنت بتلك التي تمتلكها دول شمال البحر المتوسط أعضاء الحلف الأطلنطي .

على سبيل المثال :

١- القوات المسلحة العاملة :

- عدد القوات العاملة في الاتحاد الأوروبي ٢,٣٧ مليون جندي تصل إلى ٣,٠٢ إذا أضيفت تركيا ٠

- عدد القوات العاملة في الشرق الأوسط ٢,٦٩ مليون جندي تصل إلى ٢,٨٣ جندي إذا أضيفت إسرائيل ٠

- الغرب العربي ٠,٣٥ مليون تصل إلى ٠,٤٥ إذا أضيفت ليبيا [٢٧] ٠

٢- مقارنة عدد الطائرات المقاتلة لعدد من دول الحوار شمال و جنوب المتوسط [٢٨] :

جنوب المتوسط		شمال المتوسط	
الدولة	عدد الطائرات المقاتلة	الدولة	عدد الطائرات المقاتلة
مصر	٤٧٥	أسبانيا	٢٢١
إسرائيل	٥٥٣	فرنسا	٥٩٧
ليبيا	٥١٣	إيطالي	٤٢٥
سوريا	٥٥٨	ألمانيا	٥٠٣
		إنجلترا	٥٣٨

(27) The military balance 1980-1981 , 1990-1991 , 1997-1998 .

[٢٨] نفس المرجع

٣- مقارنة عدد الدبابات لدول الحوار جنوب و شمال المتوسط [٢٩] :

جنوب المتوسط		شمال المتوسط	
الدولة	عدد الدبابات	الدولة	عدد الدبابات
مصر	٣١٩٠	أسبانيا	٨٣٨
إسرائيل	٤٢٨٨	فرنسا	١٣٤٠
ليبيا	٢٣٠٠	إيطالي	١٥٣٣
سوريا	٤٠٠٠	ألمانيا	٥٠٤٥
		إنجلترا	١٣٣٠

٤- فيما يختص ببرامج الصواريخ الخاصة بدول الحوار نذكر أن أربع دول فقط لديها صواريخ باليستية و برامج لتطوير هذه الصواريخ و يتراوح مداها ما بين ٤٥٠٠ ك٠م كما هو في إسرائيل بالنسبة لصاروخ أريحا ٣ ، و أقصرها الصاروخ " فروج ٧ " الذي يصل مداها إلى ٧٠ ك٠م٠ فقط و هو تصنيع مصري روسي [٣٠] .

إضافة إلى هذا تمتلك إسرائيل وحدها السلاح النووي المحظور امتلاكه لبقية دول المنطقة ، و تطالب كافة دول حوار الأطلنطي و الشرق الأوسط عامة بضرورة جعل هذه خالية من أسلحة الدمار الشامل ٠

و فيما يختص بدول الغرب العربي " عدا ليبيا " ليس لديها أي برامج لتصنيع الصواريخ الباليستسة ، و لكن نذكر المعلومات التالية [٣١] :

١) القوات المسلحة العاملة :

---

[٢٩] نفس المرجع

[٣٠] نفس المرجع

[31] Donnees du military balance 1997-1998

أ) المغرب ١٩٠ ألف حسب ما جاء في -military balance 1994 1995 0

ب) تونس ٣٥,٥٠٠ ألف جندي عامل

ج) موريتانيا ١٤,٦٧٠ ألف جندي عامل (٤٨٧٠ جنوب للأمن الداخلي)

و لكن لا يعني ما ذكرناه أن دول الجنوب تشكل خطرا عسكريا على دول شمال المتوسط أعضاء الحلف الأطلنطي • و لكن أظن أن الضفة الشمالية للبحر المتوسط تتفوق بمراحل في مجال التكنولوجيا العسكرية و الصناعية على اعتبار أن هذه الدول هي المنتجة لها و هي بطبيعتها المصدرة للأسلحة تجاه دول الجنوب المتوسطي •

و يجب أن نذكر هنا أيضا أن دول الشمال أعضاء الحلف تختص بـ ٨٠٪ من الميزانية العسكرية لدول حوض المتوسط وتمتلك أكثر من ٧٠٪ من طائرات الهليكوبتر ، ١٠٠٪ من حاملات الطائرات ، ٧٥٪ من الغواصات العسكرية ، ٧٨٪ من السفن الحربية ، بالإضافة إلى إجمالي القوة النووية إضافة إلى إسرائيل. الحقيقة إذا أن جنوب المتوسط هو المهدد عسكريا بواسطة الشمال المتوسطي [٣٢] •

الإشكالية الرابعة :

و هي إشكالية عدم التوصل إلى تسوية سلمية للنزاع العربي – الإسرائيلي ، و ستظل هذه الإشكالية ذات أثر بالغ على مجمل الوضع الأمني و المعوق الرئيسي للمبادرات الأمنية في البحر المتوسط و الشرق الأوسط •

---

(32) Bernard Ravenel – مرجع سابق

الإشكالية الخامسة :

و هي الإشكالية المتعلقة بقضايا الإرهاب والتطرف الفكري والعقائدي في منطقة الشرق الأوسط و البحر المتوسط و التي ظهرت بجلاء مع حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ و ما صاحبها من مواقف متطرفة متشددة خاصة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، و قسم العالم قسمين " مع " أو " ضد " سياسة الولايات المتحدة للقضاء على الإرهاب ، و هو ما أدى إلى حربين متصلتين لهذه التعبئة أولا حرب أفغانستان ثم حرب العراق .

و لكن و مع خطورة ظاهرة التعامل مع قضايا سياسية يتم تصنيفها على أنها قضايا إرهابية " خاصة في دول الجنوب و الشرق الأوسط " و انتشار ظاهرة التطرف الفكري و الثقافي و العقائدي دون مرجعيات وسطية و دون سياسة واضحة لمعالجته و التصدي لأخطاره خاصة مع غياب الحوار البناء للقوى السياسية داخليا و خارجيا و اختزال المعالجة لظاهرة الإرهاب في المعالجة الأمنية فقط دون غيرها (التدخل العسكري دولياً : أمريكا في أفغانستان و العراق ، و استخدام قوانين استثنائية في الداخل) ؛ فنحن إذا نمهد الطريق لأجيال قادمة تؤمن بالعنف طريقا لتحقيق أهدافها . الحل إذا في الحوار و تفهم أسباب هذا الانحراف الثقافي و العقائدي مع ضرورة الأخذ في الاعتبار العوامل الاقتصادية و عدم إهمال في الوقت نفسه القوة و لكن كإحدى طرق الوصول إلى حلول لهذه الظاهرة الخطيرة التي تزداد انتشارا و اتساعا خاصة في منطقة الشرق الأوسط و المتوسط لتوافر أسبابها [٣٣] .

---

(33) le Vice – amiral d'escadre Roberto Cesaretti . قائد عمليات Revue de l'otan . التابعة للحلف في البحر المتوسط Active endeavour Automne 2005 .

الفصل الثاني

المبحث الأول

استراتيجية الحلف لمواجهة الإشكاليات الأمنية في البحر المتوسط

إن نظرية الاحتواء الإيجابي التي اعتمدها الحلف تجاه دول الجنوب المتوسطي باعتبارها مصدر الخطر و عدم الاستقرار ، دفع إلى ظهور ثلاث نماذج للأمن المتوسطي في استراتيجية الحلف الجديدة في المتوسط [٣٤] ، مع الحفاظ على تناول الحلف ثنائيا للمشاكل الأمنية المتوسطية •

النموذج الأول :

هو نموذج متطور و ينظر إلى المتوسط كامتداد طبيعي للفضاء الأوروبي ، و من هذا المفهوم ينظر إلى المتوسط على أنه " البعد القريب لأوروبا " ، و هو ذا دلالة خاصة على اهتمامه بالمفاهيم السياسية و الاقتصادية و الدفاعية • و يعتبر هذا النموذج جيد للتوازن بالمفاهيم الأطلسية ، تبعاً لأن الاتحاد الأوروبي سيستمر في كونه ممثل كبير لمستقبل النمو المتوسطي حتى بالمفاهيم العسكرية ، فهو قريب لأوروبا من أجل أن تلعب دور قيادي في التحكم في الأزمات •

النموذج الثاني :

هو ذو طبيعة عالمية ، و من منطلق سياسي ، ينظر إلى أن المعالجة الأطلسية الأكثر نشاطا للمتوسط كخطوة أولية منطقية تجاه شراكة أمنية أوسع تذهب إلى مناطق أبعد من حدود المتوسط •

من هذا المفهوم ، ينظر إلى المتوسط على أنه " نقطة طريق استراتيجية " . بالمفاهيم الدفاعية يؤكد هذا النموذج على استعراض القوي ، و لهذا

---

(34) Ian .O. Lesser , Jerrold Green .F. Stephen Larrabee – Michel ZaniniRAND : The Future of NATO's Mediterranean initiative : Evolution and next steps .
Prepared for Spanish ministry of defense – February 1999 .

السبب يعتبر متمركز حول الولايات المتحدة الأمريكية ، و أيضا يمكن أن يتضمن دور أكبر لأوروبا في منطقة الخليج و الشرق الأوسط ، و هو ما يعتبر إحدى التصورات الأمريكية لأمن الخليج بعد احتلال العراق [٣٥].

النموذج الثالث :

ينظر للمتوسط كمسرح للعلاقات بين الشمال و الجنوب بالمفاهيم الأمنية قبل كل شيء .

و يكمن جوهر هذا النموذج لإستراتيجية الحوار و التعاون على أساس مبدأ الشمال و الجنوب أي العالم المتقدم و ذلك الذي في طريق التقدم . و هذه المعالجة يمكن أن تذهب إلى أبعد من مجرد بناء الثقة إلى التركيز على المسائل السياسية التي تتطلب تعاون شمالي – جنوبي إلى الحد الذي يصبح فيه الحلف فعالا في مواجهة المشاكل خارج نطاق عملياته .

و بناء على هذا و بعد استعراض النماذج الأمنية الثلاثة لنا ملاحظتين :

الأولى : أن المشاكل جنوب المتوسط هي في غالبيتها ذات طبيعة اقتصادية ثقافية و بيئية و اجتماعية .

الثانية : أن حلف الأطلنطي حلف عسكري بالدرجة الأولى و لا يملك من الوسائل للرد على مشاكل من هذا النوع ، و النماذج المطروحة في مجملها هي للرد على خطر أمني أو لمعالجة و احتواء أزمة ذات طبيعة عسكرية .

و من هذا المفهوم فإنه يجب ألا يخفي علينا أن الحلف غير مؤهل لحل المشكلات ذات الطبيعة الاقتصادية و الاجتماعية التي تسبب عدم الاستقرار جنوب المتوسط و أن الحلف لا يستطيع إلا التنبؤ والاستعداد لنتائج عوامل

---

[٣٥] د. محمد السعيد إدريس (محرر) العلاقات المصرية – الخليجية – المنظور السياسي و الأمني – و المنظور الاقتصادي و الثقافي . إصدارات مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية بالأهرام ٢٠٠٤

الاستقرار ٠

الحلف الأطلنطي حلف عسكري في المقام الأول يمتلك آلة عسكرية هائلة لخدمة الأهداف السياسية لهذا فإن دور الحلف في منطقة المتوسط و الشرق الأوسط الكبير ينحصر في المستقبل القريب و البعيد في وضع استراتيجية حقيقية للتنبؤ بالأزمات ٠

الحلف و في إطار خطوات بناء الثقة مع دول الحوار الأطلنطي المتوسطي يجب أن ينظم التعاون الأمني البسيط الذي لا يتعارض مع مفاهيم السيادة لدول الحوار [٣٦] ٠

و من ناحية أخرى فإن نظرية الاحتواء الإيجابي للحلف مع دول المنطقة نراها جيداً في سياسة ضبط سباق التسلح جنوب المتوسط و الشرق الأوسط من حيث اعتبار دول الحلف (الولايات المتحدة بصفة خاصة) المورد الرئيسي والمتحكم في نوعية الأسلحة في المنطقة و اعتماد هذه الرؤية للتسليح في يونيو ١٩٩٤ من أجل التنبؤ لأي سباق تسلح أو محاولة تصنيع أسلحة متطورة خاصة الأسلحة النووية والباليستية والكيماوية [٣٧] ٠

و لاستكمال استراتيجية الاحتواء الإيجابي لدول الجنوب توجد مشاورات مستمرة مع دول الشراكة من أجل السلام خاصة جمهورية روسيا الاتحادية و أوكرانيا حول بيع الأسلحة للدول جنوب المتوسط و الشرق الأوسط ٠

و من هذا المفهوم و في غياب أي تفاصيل عن حوارات الحلف مع دول الجنوب المتوسطي لاسيما في لمجال العسكري نتوقع أن يكون موضوع أسلحة الدمار الشامل من مسائل الحوار الرئيسية خاصة مع تلك الدول التي تمتلك

---

(36) Carto Masala : مرجع سابق

(37) RAND : l'avenir de l'initiative de l'otan . September 1997 .

تكنولوجيا تصنيعها في الجنوب مثل إسرائيل و مصر و الجزائر ، و كذلك شفافية المعلومات عن أسلحة دول الشمال أعضاء الحلف لبناء الثقة لضمان تعاون أفضل ٠

و في سياق رد الحلف الأطلنطي على مشاكل الجنوب المتوسطي و الشرق الأوسط لابد من إيضاح أمرين :

الأول : مسألة توسيع الحلف و الذي اعتمد سياسة الباب المفتوح " بعد قمة مدريد ١٩٩٧ " لقبول أعضاء جدد ، و هو ما تم بانضمام كل من بولندا و المجر و جمهورية التشيك عام ١٩٩٩ ثم بلغاريا – رومانيا – سلوفانيا – سلوفاكيا – لتوانيا – ليتونيا – أستونيا في مارس ٢٠٠٤ ٠

و في هذا افتراض أن يكون اهتمام الحلف أكثر بروزا لمسائل الجنوب ، و مع اعتبار أن الدفاع الجماعي سوف يظل قلب مهام الحلف (المادة الخامسة) فإنه من الطبيعي أن تتغير الاستراتيجية الجنوبية للحلف من نظرية الدفاع الجماعي عن أعضاء الحلف إلى نظرية الأمن الجماعي للأعضاء ٠

و هذا يفترض مبدأ آخر نعتبره خطرا إن لم يتم تحديده ، و هو مبدأ " الأمن الجماعي عن المصالح المشتركة لدول الحلف " ٠ و هو ما يطرح السؤال التالي :

إلى أي مدى يتسع مبدأ المصالح المشتركة ؟ و إلى أي مدى تتسع تخويلات الحلف الجغرافية ؟ هل تتحدد بصورة أساسية بمنطقة البلقان ، أم أنه يتسع ليشمل دول البحر المتوسط أيضا ؟ هل تشكل أزمة في الجزائر أو مصر مثلا جزءا من تخويلات الحلف الجغرافية ؟ و ماذا عن أزمات في السودان و ليبيا ؟

لم تتضح بعد استراتيجية الحلف تجاه دول الجنوب المتوسطي حول هذه المسألة ٠ وحتى داخل الحلف هناك إجماع على بطلان أي تدخل للحلف في

أزمات الشرق الأوسط ٠

و لكن يجب تعريف " المصالح المشتركة " لكي لا تصبح مسائل الحوار أكثر صعوبة و يجب أيضا تقبل دول الحوار المتوسطي و فهمها جيدا للأهداف و الأغراض النهائية للحلف في الحوار[٣٨] ٠

و الأمر الثاني : هو مسألة الانتداب " Le Mandat " و هي واحدة من أكبر مسائل الخلاف داخل الحلف ٠ و السؤال المطروح هو ما إذا كان الحلف يستطيع التصرف بدون تخويل من الأمم المتحدة ٠ على كل حال لا يوجد إجماع داخل الحلف حول هذه المسألة ٠

و هنا ترصد دول الحوار الجنوبي و كذلك دول الشرق الأوسط الكبير باهتمام بالغ هذه المسألة و تخشى أن يكون الحلف يبحث عن " عدو جديد " و يرغبون في قيود قانونية قوية ضد حرية تصرف الحلف في المنطقة ، و بهذا نتوقع أن يكون مسألة تصرف الحلف بناء على تفويض من الأمم المتحدة أو بدون تفويض من المسائل ذات الاهتمام البالغ والرئيسية في حوار الحلف مع دول الجنوب المتوسطي و كذلك خلال مبادرته الجديدة للتعاون مع دول مجلس التعاون الخليجي التي أطلقها الحلف في قمة اسطنبول ٢٠٠٤ ٠

و لنا هنا ملاحظة هامة هي أنه و مع التدهور البالغ الخطورة في الأوضاع جنوب المتوسط و الشرق الأوسط خاصة عملية السلام بين الفلسطينيين و الإسرائيليين كذلك مع سوريا ، نرى أن الحلف هو الأفضل و القادر على أن يعطي الضمانات الكافية للأطراف المتنازعة لضمان أي اتفاق سلام بينهم ٠

و من ناحية أخرى فإن عملية كهذه سوف تكون الفرصة الحقيقية لتعميق

---

(38) Chris Donnelly : un partenariat de l'otan pour le Grand Moyen-orient . Revue de l'otan printemps 2004 .

سبل التعاون بين الحلف و محاوريه سواء دول الحوار الأطلنطي المتوسطي السبع أو دول مبادرة التعاون الأطلنطي – الخليجي و هو ما سوف يساعد كذلك على مصداقية مبادرات الحلف و تحسين صورته أمام الرأي العام في المنطقة ، و لكن يجب أولا التوصل إلى اتفاق للسلام عربي - إسرائيلي على أساس مبادرة السلام العربية المعاد طرحها في قمة الرياض ٢٠٠٧ .

المبحث الثاني

١- وجهات نظر دول الحوار :

هناك أربع رؤى ووجهات نظر للحوار الأطلنطي المتوسطي : وجهة النظر الأوروبية – وجهة النظر الأمريكية – وجهة النظر الإسرائيلية ثم وجهة النظر العربية بصفة عامة و المصرية بصفة خاصة .

- **وجهة النظر الأوروبية :**

ترى الدول الأوروبية أعضاء الحلف في مبادرة الحوار الأطلنطي – المتوسطي عملية تكاملية مع مشروع الشراكة الأوروبية المتوسطية خاصة في شقها السياسي و الأمني .

و هنا يرى " Alberto Bin " المسئول السياسي للحوار المتوسطي أنه " بما أن مشاكل الإقليم هي بصورة أساسية ذات أصول اقتصادية و اجتماعية و سياسية أكثر منها عسكرية فإنه من الطبيعي أن يكون الاتحاد الأوروبي و عن طريق مشروع برشلونة اللاعب الأساسي في هذا الحوار " [٣٩] .

- **وجهة النظر الأمريكية :**

و هو بصفة أساسية وجهة نظر الخبراء العسكريين الذين يسعون إلى دور

---

(39) Jean – Francois Daguzan .. مرجع سابق

أكبر للولايات المتحدة ، و كذلك إلى جعل المتوسط مسرح العمليات الأساسي للحلف في مرحلة لاحقة لهذا الحوار ٠

قبل انعقاد مؤتمر مدريد للحلف عام ١٩٩٧ أعلن الجنرال الأمريكي و قائد قوات الحلف جنوب المتوسط " Joseph Lopez " أن مسرح عمليات الولايات المتحدة للأمن الأوروبي سينتقل إلى البحر المتوسط و ما وراء البحر المتوسط ٠

و هذا التطور في المفهوم الأمريكي للتدخل في أوروبا له أسبابه في نظر الجنرال الأمريكي و هي :

أن الحرب القادمة يمكن أن تكون نتيجة لمخاطر كثيرة مثل المشاكل الاقتصادية – مشاكل نقص المياه – التشدد الديني – الهجرة ٠٠ الخ ٠

و في الواقع أن مثل هذه التصريحات هي في الواقع محاولة من جانب الخبراء العسكريين لتبرير سياساتهم و كذلك السيطرة العسكرية على الفضاء الأوروبي المتوسطي و هو ما سيتطلب إعادة انتشار القوات الأمريكية المتواجدة في ألمانيا نحو جنوب أوروبا (ما يقرب من ٨٤ ألف جندي) ٠

و في حال تنفيذ هذه الاستراتيجية الأمريكية فإنه سيجعل من الصعب جعل قيادة الحلف الجنوبية أوروبية كما تطالب فرنسا ٠

و بوضوح أكثر و لتفعيل وجهة النظر الأمريكية فإن تقرير مؤسسة RAND الأمريكية لعام ١٩٩٧ أوضحت :

" أن السؤال الحقيقي ليس ضرورة أن يكون للحلف سياسة متوسطية و لكن في طبيعة و جوهر هذه السياسة و كيفية تطبيقها [٤٠] ٠

و هي نفس النتيجة التي انتهى إليها تقرير مجلس شمال

---

(40) RAND : Rapport 1997 .

الأطلنطي1998 . L'Assemblee de l'Atlantique Nard والسؤال الحقيقي هو :

في أي حالة ستصبح الضرورات الأمنية في المتوسط المحرك لتحولات كبرى أكثر عمقا للحلف ؟ [٤١] .

إذا فإن وجهة النظر الأمريكية تقوم على تفاعل أكثر للحلف في منطقة المتوسط و الشرق الأوسط (بعد مبادرة التعاون الأطلنطي – الخليجي) و ذلك ربما لزيادة التأثير الأمريكي على المبادرات الأخرى الموجودة في المتوسط ، و ذلك بجعل مبادرة الحلف لها الأولوية في المنطقة

- **وجهة نظر إسرائيل :**

الإسرائيليين بصفة عامة لا يثقون كثيراً في المنظمات الدولية رغم عضويتهم فيها وهو خط واضح منذ إنشاء دولة إسرائيل ١٥ مايو ١٩٤٨ و ذلك لكونها دائماً في موقف المدافع عن أعماله في تلك المنظمات [٤٢] .

و لكن الأمر يختلف بالنسبة لمنظمة حلف شمال الأطلنطي ، المنظمة التي تتكون من دول مسيحية إضافة إلى تركيا استثناءاً كدولة مسلمة و أي من هذه الدول الأعضاء لم يعترض على إنشاء دولة إسرائيل ، فضلاً عن أن أول رئيس وزراء لإسرائيل " David Ben Gourion " خشي على بلاده من العزلة الدولية ، و في إطار البحث عن حليف لحماية وجود دولة إسرائيل كان الحلف هو طوق النجاة لإسرائيل ، و هو ما عبرت عنه صحيفة معاريف الإسرائيلية في رسم كاريكاتيري عام ١٩٥٠ يصور ذراع باسم الحلف يمتد عبر البحر المتوسط

---

(41) Sami Makki .. مرجع سابق

(42) Martin Van Greverld : l'otan , Israel et la Paix au Moyen-Orient . Revue de l'otan .Hiven 2005 .

يثبت أسنان في شكل دولة إسرائيل في الشرق الأوسط [٤٣] .

و في الحقيقة تعتبر إسرائيل من الدول التي تتمتع بعلاقات وثيقة مع الحلف (عام بعد إنشاء دولة إسرائيل) إلى الحد الذي اعتبرها المحللون " العضو غير الرسمي " في الحلف .

و الإسرائيليون بصفة عامة ينظرون بإيجابية شديدة لكل ما يطرحه الحلف من مبادرات ، و تتقبل أي صيغ تعاون من جانبه ، بل تطالب بحوار أعمق خاصة في المسائل ذات الطبيعة العسكرية .

و من هذا المنظور فإن إسرائيل هي أول دولة من دول الحوار التي أبرمت اتفاقاً أمنياً شاملاً مع الحلف ٢٤ أبريل ٢٠٠١ .

و إسرائيل من ناحية أخرى تنظر إلى الشراكة من أجل السلام للحلف مع كل من جمهورية روسيا الاتحادية و أوكرانيا على أنه نموذج لتكيف الحلف خارج نطاق عملياته ، و هو ما يمكن أن يتحقق مستقبلاً مع دول الحوار المتوسطي خاصة و أن منطقة المتوسط تلعب دوراً محورياً في تحديث أفكار الحلف الاستراتيجية [٤٤] .

و ترى إسرائيل أن الإطار السياسي للحوار لابد أن يوضح مبدأ التغير و التميز و يسمح لحوارات مستقلة طبقاً للقدرات والاهتمامات الفردية لكل دولة على أن تتضمن أنشطة الحوار المتنوعة و المتميزة هذه أنشطة عسكرية [٤٥] . أو

---

[٤٣] المرجع السابق

(44) Harry Kney – Tal : Israeli Mission to the European Community : The 50 Years of NATO seen from the Mediterranean Region . Avril 1999 ed Mourizio Coccio Avril 1999

(45) Harry Kney – Tal : مرجع سابق

ذات طبيعة أمنية ثانوية أو أمنية بسيطة ، و على المدى الطويل يشمل موضوعات الأمن المعقدة و الجادة .

و كذلك ترى إسرائيل أن يدور هذا الحوار حول الأنشطة النوعية لكل منطقة : شمال أفريقيا – و الشرق الأوسط .

- **وجهة النظر العربية :**

الصورة لحلف شمال الأطلنطي عند الرأي العام العربي سلبية بصفة عامة كونه يمثل إرثاً للدول الاستعمارية السابقة للدول العربية و ممارسات الدول أعضاء الحلف (خاصة الولايات المتحدة) تجعل من الصعب على الرأي العام العربي أن يثق بأي دور إيجابي للحلف ، و ذلك كون نظرية المؤامرة حاضرة في أذهان العرب نتيجة حالة الضعف والتردي التي وصلت إليها أوضاع المنطقة العربية ؛ نظرية المؤامرة إذاً " Thearies de la Conspiration " تلعب دوراً هاماً في عدم التعاطي بإيجابية مع المبادرات الغربية عامة ومبادرة حلف شمال الأطلنطي خاصة [٤٦] .

و رسمياً رحبت الحكومات العربية بما فيها مصر بالحوار مع حلف الأطلنطي غير أن مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي هي دائماً الشاغل الأكبر للدول العربية في الحوار الأمنية . و لكن الأمر بصورة أقل في حالة دول المغرب العربي ذات الاهتمامات الأمنية المختلفة كما هو الحال بالنسبة لتونس و المغرب و موريتانيا .

أما الجزائر فالأمر أكثر صعوبة كونها من الدول التي تكنولوجياً متقدمة لتطوير أسلحة غير تقليدية خاصة في مجال الأسلحة الكيماوية .

---

(46) Mustafa Alani : la Perception de l'otan par le monde orabe . Revue de l'otan . Hiver 2005 .

و الجزائر هي آخر دولة انضمت للحوار – فبراير ٢٠٠٠ – و على الرغم من ذلك فإنها ثاني دولة بعد إسرائيل توقع على اتفاق أمني مع الحلف و ذلك خلال زيارة الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة لمقر الحلف في ٢٠ ديسمبر ٢٠٠١ .

- **وجهة نظر مصر :**

رأى الحلف أن مصر يمكن أن تسهم بصورة كبيرة في الاستقرار جنوب المتوسط و ذلك لاعتبارات الدور التاريخي المصري في المنطقة ، و لهذا كان من الأهمية أن تكون إحدى أول دول الحوار الأطلنطي – المتوسطي [٤٧] .

و من وجهة مصر فإن الحوار هو الدليل على الأهمية الاستراتيجية المشتركة بمعنى أن نكون في علاقة مباشرة مع حلف شمال الأطلنطي أمر مهم جداً للأمن القومي المصري ، لضمان تواصل المعلومات و المعرفة المتبادلة لكل ما يحدث في أوروبا و جميع النقاط الساخنة في العالم [٤٨] .

و هنا نتذكر أن مصر في شهر سبتمبر ١٩٥٠ قدمت طلباً رسمياً لوزارة الخارجية البريطانية و وزارة الخارجية الأمريكية من أجل انضمام مصر لحلف الأطلنطي أو أي حلف مشابه في الشرق الأوسط و ذلك كأداة ضمان أن تظل مصر قريبة من السياسة الغربية في حال انسحاب القوات الإنجليزية من منطقة قناة السويس .

وكانت الدبلوماسية البريطانية تخشى في ذلك الوقت أن تفقد سيطرتها أو نفوذها في المنطقة لصالح الولايات المتحدة ذات الكلمة العليا داخل حلف

---

(47) Nicolas du Santis : مرجع سابق

[٤٨] د. محمد البدري : السكرتير الأول لسفارة مصر في بلجيكا – مسئول ملف الحوار المصري مع الحلف . مقابلة للباحث في مقر سفارة مصر في بروكسل ١٦ أبريل ٢٠٠١ .

الأطلنطي ، وذلك باعتبارها أن الدفاع عن الشرق العربي لا يمكن أن يعاد تنظيمه إلا بواسطتها ،

C'est l'affaire du Commenwealth et non celle de l'otan " [49]

ولم يتم الرد على الطلب المصري ، و تطورت الأحداث الإقليمية و الداخلية في نصر ، وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ تغيرت المفاهيم و الأولويات الداخلية و الخارجية لمصر وعرض عليها الانضمام إلى أحلاف إقليمية بقيادة بريطانية و رعاية أمريكية • مثل حلف بغداد – و القيادة العليا للدفاع عن الشرق الأوسط • ولكن كان رفض القيادة المصرية حاسماً في رفض أي اشتراك في حلف دفاعي مع دول خارج منطقة الشرق الأوسط •

و مع تطور الحرب الباردة و تقلب الأحداث الإقليمية أصبح الحلف الأطلسي ذات دلالة سلبية على محاولة السيطرة و الهيمنة على دول المنطقة ، خاصة مع التباس سياسة الولايات المتحدة مع تلك السياسة التي يقودها الحلف

---

(49) Marcel Colombe : l'orient arabe et non . engagement . ed . orientation 1973 t.no I

-El Faleh Abdallah Salah eddyn : le Moyen-orient : du duel est-ouest a l'initiative de paix d'Israel 1950-1993 . Theoree et strategie . ed Godefray de bouillon 1995 .

(٥٠) السفير رؤوف سعد ، سفير مصر في بلجيكا :

Egypt and the North Atlantic Treaty Organization : Perception and prospects . The 50 Years of NATO seen from the Mediterranean Region .Bruxelles Avril 1999 .

(٥١) نفس المرجع السابق •

(٥٢) د• عماد جاد بادراس خبير بمركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية – الأهرام :

NATO's Role in the Mediterranean : A view from Egypt . The 50 Years of NATO seen from the M

خلال الحرب الباردة •

إلا أنه و بعد تفكك الاتحاد السوفيتي و انتهاء الحرب الباردة ١٩٨٩ تغيرت المفاهيم الاستراتيجية خاصة بعد أن وقعت مصر و إسرائيل عام ١٩٧٩ معاهدة السلام بينهم •

و خلال أعوام التسعينات و تبني الحلف الاستراتيجية الجديدة القائمة على تطوير البناء الاستراتيجي ، و ما بدا واضحاً من أن الأمن لا يمكن إلا أن يكون جماعياً عن طريق التعاون أصبح تقبل مصر للحوار مع الحلف ذات أبعاد استراتيجية و لكن ليست بالضرورة عسكرية •

و منذ البداية و مصر من المشاركة بفاعلية في أنشطة الحوار ، و تنظر كغيرها من دول الجنوب إلى تطور مفاهيم الحلف الاستراتيجية من قريب •

مثلاً " المصالح المشتركة " التي يتحدث عنها الحلف من أجل التدخل في منطقة معينة ، ترى مصر أنه من الضروري التحديد الواضح لمفهوم " المصالح المشتركة " فهو واسع ويمكن أن يحتوي على مسائل كثيرة ومن الممكن ألا تكون ذات أهمية لدول الجنوب •

و كذلك الموقف من مسألة عدم انتشار أسلحة الدمار الشامل ، تطالب مصر أن يكون الحوار فيها جاداً و واضحاً لكل الدول ، ذلك أنه لا يمكن قبول نزع سلاح أو الحد من قدرة دولة معينة من الناحية العسكرية مع عدم تطبيق المبدأ ذاته على كافة دول الحوار •

إذاً ما تطالب به مصر أن تكون هناك شفافية لبناء الثقة المفروضة للتقدم في وسائل الحوار الأخرى •

ثم تأتي مسألة السلام العربي الإسرائيلي ، حيث ترى مصر أن الموقف الإسرائيلي الرافض لتطبيق الاتفاقات التي أبرمتها مع السلطة الفلسطينية ، و هو

ما أدى إلى فشل عملية أوسلو ١٩٩٣ و عدم قبول إسرائيل بمبادرة السلام العربية في قمة بيروت ٢٠٠٢ والمعاد طرحها في قمة الرياض ٢٠٠٧ و التي تنص على انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ مقابل التطبيع الكامل للدول العربية مع إسرائيل ، ناتج عن رفض الدول أعضاء الحلف " الولايات المتحدة بصفة خاصة " من القيام بواجبها بتسهيل تطبيق تلك الاتفاقيات و تقريب وجهات النظر فيها و هذا راجع في المقام الأول إلى تبني الولايات المتحدة وجهة النظر الإسرائيلية دون تحفظ خاصة في ظل الإدارة الحالية للرئيس " Gorge W. Bush " المتشددة تجاه المواقف العربية خاصة بعد حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

و ترى مصر كذلك ضرورة أن يكون لحوار الحلف خصوصية واضحة من خلال جدول أعمال واضح و مفهوم و ليس مجرد مبادئ عامة حتى تفهم الاتجاهات الرئيسية للأمن في المتوسط ، خاصة و أن الحلف يدخل الآن في مرحلة تعديلات في مفاهيمه الاستراتيجية و التي تشتمل على إعادة الأولويات الأمنية في مجال عملياته [٥٠] .

كذلك ترى مصر ضرورة التمييز و التفريق بين حوارات الحلف الأطلسي و الحوارات الأخرى القائمة مع دول المنطقة مثل حوارات منظمة الأمن و التعاون الأوروبي OSCE و منظمة اتحاد أوروبا الغربية UEO

---

[٥٠] السفير رؤوف سعد ، سفير مصر في بلجيكا :

Egypt and the North Atlantic Treaty Organization : Perception and prospects . The 50 Years of NATO seen from the Mediterranean Region .Bruxelles Avril 1999 .

و لكي يتطور الحوار لابد من الأخذ في الاعتبار النقاط التالية [٥١] :

١- سرعة التوصل إلى سلام في الشرق الأوسط مع ترتيبات أمنية متوازنة • و جعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل •

٢- وضع برنامج عمل محدد وواضح لآليات الحوار ، و هذا من شأنه تعريف الاتجاهات الأساسية للأمن في دول المتوسط •

٣- أهمية الاستمرار في توسعة مشاركة دول الحوار حينما كان ذلك ممكناً في التعاون عملياً في مناطق الأمن " السهل " و الخاص بتبادل المعلومات و تطوير أداء الجهات الاستخباراتية •

٤- نرى ضرورة إشراك ليبيا و سوريا و لبنان في الحوار • و هذا من شأنه إزالة الشك و الحساسية بين الدول العربية و إسرائيل • إذ رغم كل المجهودات يظل هناك شك في عدم تفهم المشاكل جنوب المتوسط و مدى إدراكهم للتحديات التي تواجههم [٥٢] ، و تظل نظرية المؤامرة " Thearies de la Conspiration " مسيطرة على مجمل التحليلات طالما هذه الانتقائية في اختيار دول الحوار •

و تجدر الإشارة إلى أن هناك نوعين من الحوار : (مع توضيح أن الحوار ثنائي أي الدول أعضاء الحلف + دولة الحوار المعنية) :

الأول : في شهر أكتوبر من كل عام و يسمى الحوار السنوي فيما يعرف بـ ١٩+١ (الآن ٢٦+١) في مقر الحلف ببروكسيل •

---

[٥١] نفس المرجع السابق •

[٥٢] د• عماد جاد بادراس خبير بمركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية – الأهرام :
NATO's Role in the Mediterranean : A view from Egypt .
The 50 Years of NATO seen from the Mediterranean Region .Bruxelles Avril 1999 .

الثاني : في شهر مارس من كل عام لمناقشة التعاون العسكري و الأمني ٠

و تشترك مصر في أنشطة الحلف طالما ليس هناك عبء مالي ، و من أهم ما تنادى به مصر إضافة إلى ما سبق ذكره من قبل : تعاون عسكري من قبل الحلف لإزالة الألغام العسكرية في منطقة الصحراء الغربية (صحراء العلمين على الحدود مع ليبيا) حيث يوجد ١٨ مليون لغم منذ الحرب العالمية الثانية [٥٣]، و هو نفس ما تطالب به مصر في حوارها السياسي و الأمني في مشروع الشراكة الأوروبية المتوسطية و حوارها مع اتحاد أوروبا الغربية UEO 0

٢) عوائق الحوار الأطلنطي – المتوسطي :

أ) المعوقات السياسية :

العوائق السياسية للحوار معروفة جيداً و تعبر عن نفسها في المناقشات الرسمية ٠

إنها الحالة المتأزمة في عملية السلام في الشرق الأوسط ٠ إنها تجعل من الصعب – و لكن ليس من المستحيل – على الدول العربية شركاء الحوار الالتقاء مع نظرائهم الإسرائيليين في منتديات و دورات و عمليات مشتركة و بناء عليه لم يتطور الجزء الخاص بعملية بناء الثقة بشكل عام ٠

هذا إضافة إلى ضعف مستوى التمثيل الذي لم يرقى إلى مستوى السفراء حتى الآن(لا يزال عند مستوى الخبراء) ٠ و ضعف الميزانية المخصصة للأنشطة السياسية والشك العميق و الجهل باستراتيجية الحلف في الحوار مع دول الجنوب إضافة إلى غياب آليات واضحة للحوار ، كذلك شكل و آلية التعاون و التي

---

[٥٣] لواء د٠ محمد قدري سعيد :

Une evaluation du dialogue mediderranee de l'otan . Revue de l'otan . printemps 2004

كانت سبباً لنجاح الشراكة من أجل السلام مع كل من روسيا و أوكرانيا [٥٤] .

كذلك الحوار بشأن بأسلحة الدمار الشامل ينظر إليها أولاً و قبل كل شيء من خلال التنافس الاستراتيجي بين العرب وإسرائيل .

وعلى النقيض فإن دواعي القلق الأمريكي و الأوروبي نادراً ما تركز على برامج الأسلحة الإسرائيلية ، و بدلاً من ذلك فهي تركز على خطر وقوع أسلحة الدمار الشامل في أيدي أنظمة حكم عدوانية أو غير مستقرة [٥٥] .

والقلق من قدرات إسرائيل الغير تقليدية بالنسبة لصانعي القرار في الحلف خاصة و الدول الغربية عامة لا يزيد عن القلق من الترسانة النووية البريطانية أو الفرنسية [٥٦] .

و هذه " الازدواجية في المعايير " تجعل من الصعب التوصل إلى تفاهم حول هذه المسألة المهمة .

ب) المعوقات العملية :

من أهم المعوقات في تطبيق أفضل لمبادرة الحلف الأطلسي هو ذلك الكم من المبادرات المطروحة مع كثرة مسائل الحوار السياسي و الأمني . و هذا أدى في الواقع إلى ارتباك جداول الأعمال و اختلاط مسائل الحوار .

و من ناحية أخرى فإن ما يؤثر على مبادرة من المبادرات المطروحة يؤثر سلباً على باقي المبادرات بما فيها مبادرة الحلف .

و هناك معوق خطير خصوصاً بين الدول الصغيرة غير القادرة اقتصاديا و الالتزام بمبدأ التمويل الذاتي لأنشطة الحوار وهو ما يقلل كثيرا من المشاركة

---

(54) Chris Donnelly : un partenariat de l'otan pour le Grand Moyen-orient . Revue de l'otan printemps 2004 .

(55)) RAND .. 1999 مرجع سابق

(56)) RAND .. 1999 مرجع سابق

الإيجابية والاستفادة المرجوة من الحوار ٠

و يجب التذكير أن مبدأ التمويل الذاتي يجعل مشاركة دول الحوار ذات الصعوبات الاقتصادية محدوداً ٠

٣) المبادرات الأخرى في دول المتوسط :

إن مبادرة حلف الأطلسي هي واحدة من المبادرات المتعددة التي تبحث في تعزيز سبل التعاون بين دول البحر المتوسط و أهم هذه المبادرات هي :

١- عملية برشلونة

٢- منتدى البحر المتوسط

٣- منظمة الأمن و التعاون الأوروبي مع دول المتوسط OSCE

٤- حوار اتحاد أوروبا الغربية مع دول المتوسط UEO

٥- مبادرة الاتحاد من أجل المتوسط

أ- عملية برشلونة " la Processus de Barcelon " :

بدأت عملية برشلونة المسماة بالشراكة الأوروبية المتوسطية ٢٧- ٢٨ نوفمبر ١٩٩٥ لتصبح أكبر أشكال التعاون الطموح في منطقة المتوسط و التي ضمت دول الاتحاد الأوروبي و ١٢ دولة جنوب المتوسط و تضمنت أطر تعاون ثلاثة : سياسية و أمنية – واقتصادية – ثم ثقافية و اجتماعية ٠

و تم توقيع اتفاقات الشراكة مع كل الدول المشاركة عدا سوريا حتى الآن .

أما التعاون السياسي و هو من أبرز الموضوعات فإنه لم يتم بعد اعتماد ميثاق الأمن والتعاون من أجل السلام في المتوسط ، و ذلك لجملة من العوامل أهمها صعوبات التسوية السلمية في الشرق الأوسط و عدم اتفاق على مفاهيم مشتركة للأمن ٠

ب- منتدى البحر المتوسط :

و هو المنتدى الذي دعى إليه الرئيس مبارك أمام البرلمان الأوروبي في

مدينة ستراسبورج ١٩٩١ واستجابت ١٠ دول هي الجزائر– فرنسا – اليونان – إيطاليا – مالطا – المغرب – البرتغال – أسبانيا – تونس ثم تركيا بالإضافة إلى مصر ٠

و انعقدت أولى اجتماعاتها في الإسكندرية ٣- ٤ يونيه ١٩٩٤ ، و تعقد بصورة منتظمة كل عام و يشمل الحوار عملية السلام في الشرق الأوسط – الإرهاب – الجريمة المنظمة ، كذلك التعاون الثقافي ٠

و هي اجتماعات غير رسمية الهدف منها أن تكون وعاء للتفكير يساهم في النهوض بحوار الشراكة الأوروبية – المتوسطية ٠

ج- منظمة الأمن و التعاون الأوروبي OSCE المتوسطية :

أسست OSCE مجموعة اتصال غير رسمية متمثلة في الجزائر – مصر – إسرائيل – المغرب – تونس في مؤتمر " بودابست " عام ١٩٩٤ و التحقت الأردن مؤخراً بهذه المجموعة ٠ و تنظم OSCE مجموعة من الندوات السنوية لشركائها المتوسطيين تناقش بصفة عامة موضوعات حقوق الإنسان – موضوعات الأمن و الرقي و التقدم والديمقراطية و دور القانون ٠

٤- حوار UEO المتوسطي :

يدأ حوار اتحاد أوروبا الغربية UEO المتوسطي عام ١٩٩٢ بعد أن اعتمد المجلس الوزاري في شهر يونيو ١٩٩٢ في مدينة " بون " الألمانية مجموعة من المبادئ والمفاهيم الجيدة قدمت من قبل مجموعة الخبراء الخاصة بالبحر المتوسط ٠

و هذه المبادئ هي : الحوار – الشفافية – الثقة – التنبؤ بالنزاعات – التسوية السلمية للنزاعات ، و مبدأ عدم انتشار أسلحة الدمار الشامل ٠

و الدول المشاركة في الحوار هي الدول الغربية إضافة إلى المغرب – تونس – الجزائر – موريتانيا عام ١٩٩٢ ، و تم توسعة الحوار ليشمل مصر و إسرائيل

في شهر مايو ١٩٩٤ ، ثم الأردن في شهر مارس ١٩٩٨ .

و الحوار ثنائي بمعنى الدول أعضاء اتحاد أوروبا الغربية + الدول المعنية بالحوار في مقر UEO بباريس [٥٨] .

٥ـ مبادرة الاتحاد من أجل المتوسط :

هي المبادرة التي طرحها الرئيس الفرنسي Nicolas Sarkozi وتعقد أول قمة لها في شهر يونيو ٢٠٠٨ في العاصمة الفرنسية باريس بمشاركة دول الاتحاد الأوربي وجميع الدول المطلة على البحر المتوسط شمالاً وجنوباً .

- **التكاملية في مبادرات المتوسط :**

تظل عملية الشراكة الأوروبية – المتوسطية الخطوة التمهيدية الرئيسية في منطقة جنوب المتوسط . و مع وجود شبكة العلاقات الثنائية فإنها تعتبر الجسر لعلاقات الشمال بالجنوب .

إن الفشل الاقتصادي أو السياسي للشراكة الأوروبية المتوسطية سوف يكون لها ظواهر سلبية لكل مبادرات التعاون . إذ تعتبر عملية برشلونة المحطة الاقتصادية و السياسية الطبيعية للخطوات التمهيدية لحلف شمال الأطلنطي في المتوسط و التي تركز بدورها على إنماء التعاون الدفاعي .

لا يمكن لمبادرة واحدة أن تخاطب مصادر عميقة الجذور لعدم الاستقرار في المنطقة ، ولكن عدد من إطارات التعاون المتوافق و بعض العقلانية و التخصصية في ترتيب مسائل الحوار . إذ يجب أن يظهر توافق و تنسيق بين مبادرة برشلونة و مبادرة الحلف ، وبين الحلف و UEO 0

ومثل هذه النماذج من التعاون والتنسيق ربما يظهر هذه المبادرات أكثر

---

(58) Arnaud Jacomet : le dialogue mediderraneen de l' UEO . dans : l' avenir du dialogue euro – mediderraneen sur la Securite UEO – Paris 13-14 Janvir 2000 .

قبولاً وفاعلية [٥٩]

٤) الحوار الأطلنطي المتوسطي ونظرية الاحتواء الإيجابي :

الاحتواء الإيجابي هو إحدى صور الدبلوماسية الوقائية و استراتيجية التنبؤ بالأزمات وهي كذلك تطبيق لمبدأ الأمن لتحقيق المصالح المشتركة التي يسعى الحلف لترسيخها من خلال استراتيجيته الجديدة بعد الحرب الباردة ٠

إن الأخطار التي تواجهها المنطقة جنوب المتوسط و الشرق المتوسط اعتبرت عاملاً هاما في تحول الحلف نحو الجنوب لاحتواء تلك المخاطر ومحاولة السيطرة عليها داخل الإطار الجغرافي له ، ولكن هذا لم يمنع من وقوع حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والذي أصبح نقطة فارقة في تاريخ العلاقات الدولية إذ أصبح يؤرخ لما قبل و ما بعد ١١ سبتمبر ٠

و فيما يختص بالحوار الذي نحن بصدد تحليله فإن آليات الحوار لم تتغير كثيراً وإن كانت أكثر علانية خاصة في النواحي الاستخباراتية و التعاون في مجال المناورات المشتركة مياه البحر المتوسط تارة و الخليج العربي تارة أخرى ، و صور الجنوب على أنه الأكثر خطرا على الشمال بل أكثر المناطق خطورة على أمن الشمال المتوسطي نتيجة عوامل أهمها انتشار ظاهرة التشدد العقائدي و التطرف الفكري و الثقافي و ضعف مستوى أداء الدول إضافة إلى عدم الاستقرار السياسي في بعضها كما هو في العراق بعد احتلالها وتصاعد التوتر الطائفي في لبنان و رغبة إيران في امتلاك التكنولوجيا النووية و أيضا الحديث عن مستوى الديمقراطية و حقوق الإنسان في المنطقة جنوب المتوسط و الشرق الأوسط الكبير و هو ما دعى الحلف في مؤتمر اسطنبول ٢٠٠٤ إلى الدعوة إلى مبادرة التعاون مع دول مجلس التعاون الخليجي ٠

---

[٥٩] السفير رؤوف سعد ٠٠ مرجع سابق

و هو ما يتطابق من وجهة نظرنا للاحتواء الإيجابي لجملة هذه المشكلات وحصرها داخل حدودها الجغرافية و هو أمر و إن كان الحاضر ممكن تحقيقه فلا توجد أي ضمانة حقيقية لاستمرار هذا الاحتواء إيجابيا في المستقبل إلا إذا تنبهت الدول جنوب المتوسط و الشرق الأوسط الكبير إلى أن أولى عوامل فض الاشتباك حول الهيمنة عليها و تصويرها على أنها المناطق الأخطر في العالم هو ضرورة وجود برنامج واضح ومحدد المدة (بداية و نهاية) لتحول ديمقراطي حقيقي بما تعنيه الكلمة من معنى ، وضرورة تبني نظام اقتصادي واضح المعالم و الشفافية في تطبيقه و تفعيله مع الحرص – كل الحرص – من الوقوع في مأزق التزاوج غير الشرعي بين السلطة و رأس المال ، هذا إضافة إلى إصلاح نظام التعليم قبل الجامعي و الجامعي و النهوض بأساليب البحث العلمي و الحفاظ على الهوية الثقافية لدول الجنوب المتوسطي و الشرق الأوسط الكبير (مع الاحتفاظ لكل دولة بالخصوصية السيادية) .

و يأتي كل هذا من خلال اتباع أنظمة واضحة لا لبس فيها محددة المدة إذا أردنا النهوض فعلا و السير في ركب التقدم .

و هنا يكون الحوار فعالا ذا أثر إيجابي على الأمن القومي لدول الحوار ، و ندرأ عن أنفسنا الاتهامات بأن منطقتنا هي الأفقر و الأخطر و الأظلم بين دول العالم .

و مع كل ذلك فإن الحوار الأطلنطي المتوسطي له علامات مضيئة في بعض المجالات ، منها على سبيل المثال :

١- أنه أصبح عاملا رئيسيا في المشاركة المعلوماتية .

٢- أعطى إطارا أكبر لبناء الثقة و التعرف على الاستراتيجية العامة للحلف تجاه دول الجنوب .

٣- فتح الحوار إمكانية التحول من الحوار إلى التعاون ٠

كان هذا العرض التحليلي للحوار الأطلنطي المتوسطي رؤية متواضعة لطريقة و كيفية و منهجية الحوار و المراحل التي مر بها و ما هي إيجابياته و سلبياته ٠

خاتمة

بعد هذا العرض للحوار و آلياته و أنشطته و مشكلات الجنوب ومعوقات الحوار نصل في الخاتمة إلى نتيجة هامة مؤداها أنه يجب التعاطي بإيجابية من دول الحوار المتوسطية مع مبادرة الحلف و الكف عن التلويح بالتأثير السلبي لأي مبادرات خارجية لبناء الثقة المطلوبة بين الطرفين و هي أولى مظاهر التعاون الإيجابي لأي حوار .

ونجمل رؤيتنا في هذه النقاط :

١) أنه يجب دعم الحوار عن طريق جعله أكثر خصوصية بالمنطقة و ذلك بتحديد جدول أعمال واضح للحوار مع التركيز على المسائل ذات الاهتمام المشترك و ليس عن طريق فرض أجندة الحلف التي قد لا تتناسب – غالباً – مع اهتمامات دول الحوار .

٢) ضرورة أن تكون الرؤية متساوية بأن تكون مسائل الحوار أكثر مرونة و قائمة على مبدأ التعاون المشترك و تفعيل و تنمية الاتصال الثنائي بين دول الحوار أنفسهم [٦٠] .

٣) ضرورة تطوير الحوار ليشمل جانباً عمليا بدعوة دول الحوار في مناورات الحلف الخاصة و مناورات الحلف مع دول الشراكة من أجل السلام .

٤) ضرورة توسعة الحوار ليشمل ليبيا و سوريا و لبنان و كذلك السلطة الفلسطينية لضمان نتائج أفضل للحوار ولبناء الثقة المطلوب بين العرب و إسرائيل ، تماما كما هي الحالة في كل من سوريا و لبنان فإن استبعادهما يزيد من الشكوك حول أغراض مبادرة الحلف من أنها تهدف إلى عزل

---

(60) مرجع سابق RAND .. 1999

اهتمامات الدول العربية بعضها عن بعض و ترسخ صورة الحلف الأطلنطي على أنه يسعى لمساعدة إسرائيل على أن تكون الدولة الرئيسية في منطقة الشرق الأوسط و شمال أفريقيا •

و نرى أنه من الضروري التفكير في أن يكون لحلف شمال الأطلنطي دورا هاما في حالة النزاع الفلسطيني – الإسرائيلي ، فهو من وجهة نظرنا يجب أن يكون الضامن الأساسي لأي اتفاق سلام بين الطرفين و لكن قبل هذا التفكير المتفائل يجب أولا :

١- اتفاق سلام دائم بين الطرفين •

٢- تفويض من الأمم المتحدة لعمليات الحلف •

إذا تحقق هذان الشرطان فإننا متفائلون بقيام الحلف بدور الضامن الفعلي لهذا السلام و نأمل أن يتم هذا إن لم يكن في المستقبل القريب فنرجو ألا يكون هذا المستقبل بعيدا •

إن بناء الثقة المطلوبة لتفعيل الحوار الأطلنطي المتوسطي تتطلب من دول الحوار ذات الغالبية العربية عدا إسرائيل) أن تكون على مستوى تحديات القرن الواحد والعشرون و أن تقدم على المشاريع المطروحة أمنيا و سياسيا و اقتصاديا بمنطق القرن الجديد و فكر القرن الجديد و رجال القرن الجديد (لا رجال كل القرون) ، و أن تتعامل بحرفية من منطق المصلحة المشتركة بمعنى تعاون مشترك و تنازلات متبادلة و متساوية و على الحلف و في مراحل بناء الثقة أن يقدم الدليل لدول الحوار و أيضا للمواطنين العرب المقيمين في الدول الأوروبية و أمريكا بأنهم لن يكونوا تحت أي ظرف وفي أي وقت أعداء للحلف و أن استراتيجية الحلف المستقبلية تضمن هذا النهج التعاوني للحلف [٦١] •

---

(61) Francis Ghiles : les relation entre le monde arabe et l'occident . Revue de l'otan Hiver 2005 .

المراجـــع

١) على عبد الصادق : الناتو و الشرق الأوسط الكبير – السياسة الدولية – العدد ١٦٣ يناير ٢٠٠٦

٢) د٠ محمد السعيد إدريسي (محرر) : العلاقات المصرية – الخليجية ٠ مركز الدراسات السياسية و الاستراتيجية – الأهرام ٢٠٠٤

كتب Ouvrages

1) Colombo Marcel : orient arabe et non - engagement . Tome I ed : Publication oriental de France 1973 .

2) DAGUZAN Jean – Francois et Raoul Grardit (Sous la Direction): la mediderranee : nouveaux defies , nouveaux risques . Paris , ed publisud . Case , 1995 .

3) DAGUZAN Jean – Francois (Sous la Direction) : les Etats Unis et la mediderranee. F.M.E.S , ed : publisud . Paris 2002 .

4) David Dominique : Securite : l'apres New-York . Paris . ed Presse de Sciences Po . 2002 .

5) De Farge Philippe Moreau : Relations Internationals : Question regionales , Paris ed. Seuil 1993 .

6) Kerdoun Azzouz : la Securite en mediderranee : defies et strategies , Paris . ed : publisud 1995 .

7) Kirschboum stanislav Jozef Vladimir : la Paix a.t.elle un avenin ? l'otan et la Securite internationale Paris . ed L'Harmattan 2000 .

8) Zorgbibe Charles : la mediderranee sans les grands ? ed Quadrige , Paris 1997 .

دوريات

1) Abdel ouhab , Maalmi : l'otan et le sud de La mediderranee , les malentendus d'un dialogue , l'annuaire mediterranee. 1996 .

2) Aliboni Roberto : Security challenger in the Mediterranean region , ed : Gabriel Tomme : Londres , 1996 .
3) La Secerite europeanne a travers la mediterranee . Cahiers de Chaillot no 2 1991
4) Aronson Geoffrey : Renforcement du Partenariat strategique entre les Etats – Unis et Israel : Vers une Paix armee au Proche-orient , la Monde diplomatique , juillet 2000 .
5) Badini Antonio (ambassadeur) : relation between the EMP and NATO'S Mediterranean dialogue : future prospects: in martin ortiga (saus la direction) , l'avenir du dialogue Euno- mediderranee en matiere de securite . UEO , Paris 2000
6) Bin alberto : NATO'S Mediterranean dialogue , in martin ortiga
7) Courtois jean – Pierre (ambassadeur de france) : reflexion sur le developpement de la charte euro – mediderranee de paix et de stabilite .publication euro – messco . mars 2000
8) DAGUZAN Jean – francois : la charte euro – mediderranee : un socle concret pour la (maison commune) ed annuaire de la mediderranee 2001
9) DAGUZAN Jean – francois : Le dialogue de l'otan sur la mediderranee et linstitutionnalisation de la charte euro – mediderranee , l'avenir de dialogue euro – mediderranee en matiere de securite . UEO 13-14 janvier 2000 . publication euro – mesco. Mars 2000
10) Le Figaro : l'otan : police de la paix au proche – orient . 6 September 2000
11) Ortega martin : pour l'avenir de dialogue sur la securite euro – mediderranee , publication euro –

mesco. Mars 2000
12) Otan hebdo : fib 2004 – mars 2004
Faire progresser les partenariat de l'otan . printemps 2004
Httb://www.nato.int/docu/update/2004/03-march/f0302a.htm
13) revue d l'otan :
- interpreter Istanbul Automne 2004
- l'otan et le moyen – orient hiver 2005
- l'otan et l'edification de la paix . ete 2005
- combattre le terrorisme Automne 2005
httb://www.nato.int/docu/review/2004/tssuel/French/foreword
.html

Rapparts تقارير

1) Moya Pedro : la role de l'otan en mediderranee , Project de rappart Groupe special mediderranee . GSM . 25 aout 1997 .
2) RAND : مركـز أبحـاث أمريكـي متخـصص في المـسائل الاستراتيجية
The Future of Nato's Mediterranean Initiative : Evaluation and next steps . prepared for Spanish ministry of defense . Feb 1999 .

Theses : رسائل دكتوراه

د٠ نجاح الريس (الباحث) : رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة السوربون بفرنسا شهر مايو ٢٠٠٢ بعنوان " السياسة المصرية بين تحديات الشرق أوسطية و طموحات المتوسطية : التحديات الاستراتيجية للسلام "

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ٤

الفصـل الأول ٨

المبحث الأول .....

بداية الحوار الأطلنطي – المتوسطي ٨

الأنشطة التي شملها الحوار حتى الآن ١٠

الحوار بعد حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ..... ١٤

المبحث الثاني ١٦

المشكلات الأمنية جنوب المتوسط : ١٦

- الإشكالية الأولى ١٦
- الإشكالية الثانية ١٧
- الإشكالية الثالثة ١٨
- الإشكالية الرابعة ٢١
- الإشكالية الخامسة ٢٢
- **الفصل الثاني** ٢٣

المبحث الأول ٢٣

استراتيجية الحلف لمواجهة الإشكاليات الأمنية في البحر المتوسط : ٢٣

- النموذج الأول ٢٣
- النموذج الثاني ٢٣

• النموذج الثالث ٢٤
المبحث الثاني ٢٧
وجهات نظر دول الحوار : ٢٧
• وجهة النظر الأوروبية ٢٧
• وجهة النظر الأمريكية ٢٧
• وجهة نظر إسرائيل ٢٩
• وجهة النظر العربية ٣٠
• وجهة نظر مصر ٣١
عوائق الحوار الأطلنطي – المتوسطي : ٣٥
• المعوقات السياسية ٣٥
• **المعوقات العملية** ٣٦
المبادرات الأخرى في دول المتوسط : ٣٦
• عملية برشلونة ٣٦
• منتدى البحر المتوسط ٣٧
• منظمة الأمن و التعاون الأوروبي مع دول المتوسط OSCE
• حوار اتحاد أوروبا الغربية مع دول المتوسط UEO
• مبادرة الاتحاد من أجل المتوسط ٣٨
التكاملية في مبادرات المتوسط ٣٨
الحوار الأطلنطي المتوسطي ونظرية الاحتواء الإيجابي ٣٩
الخاتمة ٤١
المراجـع ٤٣